



في محراب الحياة

الأخلاق و الأدب

خطبة جمعة

2026-05-01

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

يا ربنا لك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، عني كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفزع كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هُداك، وكيف نذل في عزك، وكيف نُضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك، والأمر كله إليك، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جئات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جرى نبياً عن أمته.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرئته سيدنا محمد، وسلم تسليمًا كثيراً.

وبعد أيها الإخوة الكرام: <

الدين هو ما يشاهده الناس منك لا ما يكون في المسجد بينك وبين ربك:

فما دُمت لم تر سلوكه عند الحلال والحرام، لم تصحبه في السقر ضحيةً طويلة، لترى صدقه، وعفاه، وغصَّ بصره، وتُعدُّه عن الشبهات، ولم تُعامله بالدرهم والدينار، لترى كيف يكون بيعه وشراؤه، وكيف يتعامل مع الناس بالحلال والحرام، ولست جاراً له تعرف عنه أشياء كثيرة مما يعرف الجار عن جاره، فإنك لا تعرفه.

يُريد عُمر رضي الله عنه أن يقول لنا: إنَّ الدين هو ما يشاهده الناس منك، لا ما يكون في المسجد بينك وبين ربك، ما يكون في المسجد بينك وبين الله تعالى فهذا عظيم أي عظمة، لكن الناس لا يرون منك هذا، وإنما يلتفتون إلى أخلاقك خارج المسجد، إلى تعاملك، إلى بيعك وشراؤك.

أيها الكرام:

{ لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي، فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله ثم انثني، فانطلق الأخ حتى قدّمه، وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر فقال له: رأيتُه يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاماً ما هو بالشعر، فقال: ما سقيتني ممّا أردت، فتروّد وحمل شئته له فيها ماء حتى فدم مَكَّة، فأنى المسجِدَ فالتَمَسَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يعرفه، وكرة أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل فاضطَجَعَ، فرأه عليٌّ فعرف أنه

عَرَبٌ، فَلَمَّا رَأَهُ تَبِعَهُ فَلَمْ يَسْأَلْ وَاجِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنِ شَيْءٍ حَتَّى أَصْبَحَ، ثُمَّ احْتَمَلَ قَرْبَتَهُ وَزَادَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَظَلَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَلَا يَرَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَمْسَى، فَعَادَ إِلَى مَضْجَعِهِ، فَمَرَّ بِهِ عَلِيُّ فَقَالَ: أَمَا نَالَ لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ؟ فَأَقَامَهُ فَدَهَبَ بِهِ مَعَهُ، لَا يَسْأَلُ وَاجِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنِ شَيْءٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمَ الثَّلَاثِ، فَعَادَ عَلِيُّ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ، فَأَقَامَ مَعَهُ ثُمَّ قَالَ: أَلَا تُحَدِّثُنِي مَا الَّذِي أَقَدَمَكَ؟ قَالَ: إِنْ أُعْطَيْتَنِي عَهْدًا وَمِثْلًا لَتُرْشِدَنِي، فَعَلْتُ، فَفَعَلَ فَأَخْبَرَهُ، قَالَ: فَإِنَّهُ حَقٌّ، وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتَّبِعْنِي، فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتَ شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْكَ فَمُتْ كَأَنِّي أُرْبِقُ الْمَاءَ، فَإِنْ مَضَيْتَ فَاتَّبِعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي، فَفَعَلَ، فَانطَلَقَ يَفْهوه حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَدَخَلَ مَعَهُ، فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ وَأَسْلَمَ مَكَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي، قَالَ: وَالَّذِي تَفْسِي بِيَدِهِ، لِأَصْرَحَنَّ بِهَا بَيْنَ طَهْرَاتِهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ، فنادى بأعلى صَوْتِهِ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَامَ الْقَوْمُ فَصَرَّبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ، وَأَتَى الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ، قَالَ: وَبَلَّكُمْ! أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ، وَأَنَّ طَرِيقَ تِجَارِكُمْ إِلَى السَّمَاءِ؟ فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ عَادَ مِنَ الْعَدِ لِمِثْلِهَا، فَصَرَّبُوهُ وَنَارُوا إِلَيْهِ، فَأَكَبَّ الْعَبَّاسُ عَلَيْهِ {

(أخرجه البخاري ومسلم)

(ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي) أَي إِلَى مَكَّةَ (فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَرْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، بِأَنَّهُ الْخَيْرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ انْتَبِهْ، فَاذْكُرْ الْأَخَ حَتَّى قَدِمَهُ، وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ) الْآنَ أَخُو سَيِّدِنَا أَبِي ذَرٍّ فِي رِحْلَةٍ اسْتِكْشَافِيَةٍ بِتَكْلِيفٍ مِنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَارْضَاهُ، يُرِيدُ مِنْهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِخَيْرِ هَذَا الرَّجُلِ، رَجَعَ إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الرَّحْلَةِ فَمَاذَا قَالَ؟ قَالَ كَلِمَاتٍ مَعْدُودَةٍ: (فَقَالَ لَهُ: رَأَيْتَهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ) أَرْبَعُ كَلِمَاتٍ، هَذَا مَا شَاهَدَهُ، هَذَا مَا عَلِمَ أَنَّهُ يُفِيدُ أَبَا ذَرٍّ فِي مَعْرِفَتِهِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، طَبِيعًا دَعْوَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْوَةَ التَّوْحِيدِ، وَهُوَ أَعْظَمُ مَا فِي الدِّينِ، وَدَعْوَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِيَ دَعْوَةُ الصِّلَةِ بِاللَّهِ، وَهِيَ دَعْوَةُ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ مَوْجُودًا وَوَاحِدًا وَكَامِلًا، لَكِنْ مَا الَّذِي رَأَى هُوَ فِي الْمُحْضَلَّةِ؟ (فَقَالَ لَهُ: رَأَيْتَهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ).

العبادات في الإسلام لا تنفصل عن واقع الحياة:

أيها الإخوة الكرام: العبادات في الإسلام لا تنفصل عن واقع الحياة، بل إن هدفها الأسمى أن تُنمِّرَ سلوكاً في واقع الحياة، ليست الصلاة مُجَرَّدَ أَقْوَالٍ وَأَفْعَالٍ تُفْتَحُ بِالتَّكْبِيرِ وَتُخْتَمُ بِالتَّسْلِيمِ، هَذَا هُوَ التَّعْرِيفُ الْفَقْهِيُّ، الَّذِي تَصِحُّ بِهِ الصَّلَاةُ وَفِي شُرُوطِهَا وَسُنَنِهَا وَوَاجِبَاتِهَا إِلَى آخِرِهِ، لَكِنَّا فِي حَقِيقَةِ الْمَقْصِدِ الشَّرْعِيِّ الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْهَا، لَيْسَتْ مُجَرَّدَ حَرَكَاتٍ تُوَدَّى، وَلَيْسَتْ أَقْوَالاً وَأَفْعَالاً تُفْتَحُ بِالتَّكْبِيرِ وَتُخْتَمُ بِالتَّسْلِيمِ فَحَسَبَ، لَكِنَّا فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ يَجِبُ أَنْ تَعَكْسَ أَخْلَاقاً فِي وَاقِعِ الْمُصَلِّي، قَالَ تَعَالَى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ مَا أَوْجَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ □ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ □ وَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ □ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (45)

(سورة العنكبوت)

والذي لا تنهاه صلاته عن الفحشاء في قوله، أو عن المنكر في أفعاله، فقد صلى فيها لكنه لم يصل مقصداً، ما أقام الصلاة كما أراد الله تعالى، لأن الله تعالى في القرآن لم يقل صلوا وإنما قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَبُوا مَعَ الرَّاكِبِينَ (43)

(سورة البقرة)

والعرب كانت تقول: "أقام القوم سوقهم إذا لم يُعْمَلُوا مِنَ الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ" والقرآن أنزل بلسان عربي، ما معنى أقام القوم سوقهم عند العرب قبل الإسلام؟ أي لم يُعْمَلُوا مِنَ الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ، لَكِنْ لَوْ أَنَّهُمْ بَنَوْا السُّوقَ، أَوْ وَضَعُوا الْخَيْمَ لَكِنْ لَمْ يَبِيعُوا وَلَمْ يَشْتَرُوا، فَلَا يُقَالُ أَقَامَ الْقَوْمَ سَوْقَهُمْ، لِأَنَّ السُّوقَ لَمْ يُحَقَّقِ الْمَقْصِدَ الَّذِي وَجَدَ مِنْ أَجْلِهِ، فَاللَّهُ تَعَالَى عِنْدَمَا يَقُولُ: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) لَا تَعْنِي أَدَاؤُهَا الصَّلَاةَ أَوْ صَلَوَا، وَلَكِنْ تَعْنِي أَنْ تُوْتِيَ الصَّلَاةَ تَمَرَّتْهَا، فَتَنْهَى الْمُؤْمِنَ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، لَيْسَ الصِّيَامُ مُجَرَّدَ امْتِنَاعٍ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَلَكِنَّهُ ارْتِقَاءٌ إِلَى مَرْتَبَةِ التَّقْوَى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183)

(سورة البقرة)

{ رَبِّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ وَرَبِّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهْرُ }

(ابن عدي "الكامل في الضعفاء")

{ من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة بأن يدع طعامه وشرابه }

(أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه)

(من لم يدع قول الزور) أي الكذب والبهتان والغيبة والنميمة، حديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليست الزكاة صريئة مالية كالضرائب التي تفرضها الدول، وتُثقل كاهل الناس ويدفعونها زُعماً عنهم، وهم لا يريدون دفعها، لكنها طهارة للنفس ونماء لها، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103)

(سورة التوبة)

فيجب أن تُطهَّر الزكاة نفس الإنسان، ويجب أن تنمو به وبماله.

أُيِّها الإخوة الكرام: ليس الحجُّ سياحةً، ولو كان سياحةً لجعله الله تعالى في أجمل مناطق الأرض، حيث الأنهار العذبة، والجبال الخضراء، والطقس المعتدل، لكنه ليس سياحةً، لذلك جعله الله تعالى بواجب غير ذي زرع، لأنه ليس سياحةً، لكنه ارتقاء في مدارج معرفة الله تعالى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ قَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفْتٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ حَبِيرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ
وَتَرَوُودُوا قِبْلَتَهُ حَبِيرَ الرَّادِ التَّقْوَى وَالْأَشْقُونَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (197)

(سورة البقرة)

والرَفْتُ هو الكلام الذي يكون في موضوعات النساء التي يُستحيا منها (فَلَا رَفْتٌ وَلَا فُسُوقٌ) ولا خروج عن منهج الله (وَلَا جِدَالٌ) حتى الجدال في الحج ممنوع.

الدين المُعاملة:

أُيِّها الإخوة الكرام: يقولون: "الدين المُعاملة" وهذا ليس حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن معناه لا يخلو من الصيحة، لأنَّ الدين في حقيقة الأمر عند الناس، هو ما يراه الناس منك، من أفعالك، وأقوالك، وتعاملك معهم.

في المسجد يتلقَّى المؤمن التعليمات من الله تعالى، يسمع كلام الله، يحضُر الخطبة، يحضُر مجلسِ علمٍ، يسمع القرآن يُتلى في الصلاة، فيتلقَّى التعليمات، يستمع ما يُريد الله منه، ثم يخرج إلى الحياة فيُطبِّق دينه في واقع الحياة، ثم يعود إلى صلاة العشاء أو الفجر ليقبض الثمن، تجلياً وسكينةً ورحمةً.

مثالاً للتقريب: كيف مندوب المبيعات؟ مندوب المبيعات يأتي إلى الشركة صباحاً، فيأخذ التعليمات، عليك أن تباع كذا وكذا، وأن تذهب إلى المحلات الفلانية، بتلقى التعليمات ثم يخرج، أين تطبق هذه التعليمات؟ في الواقع، من مكانٍ إلى آخر، من شارعٍ إلى آخر، من بيعٍ إلى آخر، ثم يعود بعد العصر إلى شركته، فيقدّم بيانته ويأخذ عمولته. والمسلم في المسجد يأخذ التعليمات ويقبض الثمن من الله تعالى، تجلياً وسكينةً ورحمةً، لكن أين يطبق دينه؟ في واقع الحياة، في المتجر، مع أهله، مع أولاده، مع زوجته، فالدين ليس في المسجد فحسب، الدين في المسجد في محراب العبادة، والدين في محراب الحياة، بين الناس.

أبها الإخوة الكرام: لَمَّا استدعى النجاشي جعفرًا رضي الله عنه ليسأله عن الدين، قال له: ما هذا الدين الذي جئتكم به، وفارقتم دين آبائكم؟ فماذا أجبه جعفر؟ اسمعوا إلى هذا الجواب الحكيم:

{ حديث أم سلمة عند ابن خزيمة في قصة هجرتهم إلى الحبشة يعني حديث: لَمَّا نزلنا أرضَ الحبشة جاورنا بها حينَ جاءَ النَّجاشِيُّ، فدَكَرَ الحديثَ بطولِهِ، وقالَ في الحديثِ قالت: وَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ قَالَ لَهُ: **أَبُهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلًا جَاهِلِيَّةً نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَتَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَتَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجَوَارِ، وَيَأْكُلُ الْفَوْئِيَّ مَتًّا الصَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مَتًّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعِفَاقَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوحِدِيهِ، وَلِنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصَلَةِ الرَّحِمِ، وَحَسَنِ الْجَوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالذَّمَاءِ، وَتَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الرَّؤْرِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ لَا نَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ قَالَتْ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ، فَصَدَّقْنَاهُ وَأَمَّنَّا بِهِ، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَمْ نَشْرِكْ بِهِ وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحَلَّلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، ثُمَّ دَكَرَ بَاقِيَ الْحَدِيثِ {**

(أخرجه أحمد وابن خزيمة)

هذه العقيدة الفاسدة، السيئة، يتوجهون إلى غير الله والعباد بالله، فلا ينفعهم عملٌ ولو كان صالحاً في الظاهر، لأنهم لا يعبدون الله، لكن ماذا انعكست هذه العقيدة الفاسدة على سلوكهم؟ قال: **(وَتَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَتَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجَوَارِ فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مَتًّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعِفَاقَهُ) صادقٌ عندما يُحدِّثُك، أمينٌ عندما يُعاملُك، عفيفٌ عندما تُنارُ شهوته، عندما يتعامل مع الجنس الآخر، يعفُّ عن المحارم، صدقٌ وأمانٌ وعفافٌ، قال: (فدعانا إلى الله لنوحده، ولنعبدَهُ ونخلع ما كنا نعبدُ نحنُ وأباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان) ماذا أتمرت هذه العقيدة الصحيحة الخالصة؟ قال: **(وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصَلَةِ الرَّحِمِ، وَحَسَنِ الْجَوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالذَّمَاءِ) عقيدةٌ سليمة، وسلوكٌ مستقيم.****

أبها الإخوة الكرام: ثَمَامَةُ بن أنال سيد أهل اليمامة، جاء مرةً يُريدُ العُمرةَ وهو مُشْرِكٌ، يُريدُ عُمرةً على الشِرْكِ، فجاء يُريدُ مَكَّةَ فأخذته سريةً من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخذته أسيراً واقفاده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ماذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم؟ جعله عند ساريةٍ من سوارِي المسجد، يُريدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرى ثَمَامَةَ الإسلام عملياً، أن يرى الصحابة الكرام، أن يرى الدين، فجاءه في اليوم الأول فقال:

{ بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْلًا قَبَلَ تَجْدٍ، فَجَاءَتْ بَرْجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيْفَةَ يُقَالُ لَهُ: ثَمَامَةُ بْنُ أَنَالٍ، فَزَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **مَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ؟** فَقَالَ: **عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَعَفَّلْنِي تَعَفَّلُ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتُ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا بِنَيْتٍ، فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الْعَدُوُّ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ؟** قَالَ: **مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَى شَاكِرٍ، فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْعَدُوِّ، فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ؟** فَقَالَ: **عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فَقَالَ: أَطْلِقُوا ثَمَامَةَ، فَاذْهَبْ إِلَى تَجَلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسِلْ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهُ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذْتَنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمرةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَوِّتْ! قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَسَلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا وَاللَّهِ، لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ جَبَّةٌ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْتِيَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {**

(أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود)

(وَإِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَى شَاكِرٍ) إن أردت أن تغفو عني فإني أشكرُك لك صنعك، **(إِنْ تَعَفَّلْنِي تَعَفَّلُ ذَا دَمٍ)** لي من يتأمر لدمي **(وَإِنْ كُنْتُ تُرِيدُ الْمَالَ)** لأفدي نفسي من أسري **(فَسَلْ مِنْهُ مَا بِنَيْتٍ، فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْعَدُوِّ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَى شَاكِرٍ، فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْعَدُوِّ، فَقَالَ: أَطْلِقُوا ثَمَامَةَ، فَاذْهَبْ إِلَى تَجَلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسِلْ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ).**

ماذا رأى ثَمَامَةُ؟ رأى أخلاق المسلمين، وصادف ذلك قلباً صافياً عنده بريد الحقِّ، مُتَجَرِّدٌ له، فلَمَّا رأى ما رأى من أخلاق المسلمين، عاد إلى الإسلام، إلى فطرته السليمة، لم يذكر له النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً من التفاصيل، وإنما أراه الإسلام عملياً، أراه كيف هؤلاء الصحب، رهبان الليل فرسان النهار، كيف يتعاملون في ما بينهم، فأحبَّ الإسلام من محبتهم وأسلم.

عامل الناس كما تُحب أن يعاملوك:

أُثِمَّ الإخوة الكرام: يقولون: "عامل الناس كما تُحب أن يعاملوك" وهذا ليس حديثاً أيضاً، ولكنه جرى على الألسنة، ومعناه صحيح، وله شاهدٌ في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول صلى الله عليه وسلم:

{ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا قَبْلِي، إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى مَا يَعْلَمُهُ خَيْرًا لَهُمْ، وَيُنذِرُهُمْ مَا يَعْلَمُهُ شَرًّا لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوْلَاهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بِلَاءٌ شَدِيدٌ، وَأُمُورٌ تُنْكَرُوتُهَا، وَتَجِيءُ فِتْنٌ، فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَبُفُ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُرَخَّخَ عَنِ النَّارِ، وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِيهِ مِنْبُتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلِيَأْتِيَ إِلَى النَّاسِ، الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَاتَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفَقَةً يَدِيهِ، وَتَمَرَةً فُلَيْطِعُهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخِرُ بِنَارِغُهُ فَاصْرَبُوا عُنُقَ الْآخِرِ }

(أخرجه مسلم)

لو أنّ كل واحدٍ منّا في تعامله وأخلاقه، عامل الناس كما يُحب أن يُعامله الناس، وأتى إليهم ما يُحب أن يؤتى إليه من جانبهم، لأغلقت المحاكم أبوابها والله، أُحِبُّ أَنْ يَسْرِقَ مَالِي أَحَدٌ؟ إِذَا لَا تَسْرِقُ أَحَدًا، أُحِبُّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى عِرْضِكَ أَحَدٌ؟ إِذَا غَضَّ بَصْرَكَ عَنْ مَحَارِمِ النَّاسِ، أُحِبُّ أَنْ تَكُونَ ابْنُكَ مُكْرَمَةً فِي بَيْتِ زَوْجِهَا؟ إِذَا أَكْرَمَ زَوْجَةُ ابْنِكَ فِي بَيْتِكَ. ائْتِ إِلَى النَّاسِ مَا تُحِبُّ أَنْ يَأْتُوا النَّاسَ إِلَيْكَ تُخَلُّ الْمُشْكَلاتُ كُلَّهَا، عِنْدَمَا أَمَرَنِي اللَّهُ تَعَالَى أَنْ أَنْزُكَ الْمَالِي الْحَرَامَ، فَقَدْ أَمَرَ مِلْيَارِي مُسْلِمٌ فِي الْأَرْضِ أَنْ يُعْرِضُوا عَنِّي مَالِي، وَعِنْدَمَا أَمَرَنِي أَنْ أَحْفَظَ الْأَعْرَاضَ، فَقَدْ أَمَرَ مِلْيَارِي مُسْلِمٌ فِي الْأَرْضِ أَنْ يَحْفَظُوا عِرْضِي، وَهَذَا الْمَعْنَى الْعَظِيمُ أَثَمًا الْكَرَامَ، فِي أَنْ تَتَعَامَلَ بِهَذِهِ الْقَاعِدَةِ النَّبَوِيَّةِ: "أَنْ تُحِبُّ أَنْ يَأْتِيَ النَّاسُ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يَأْتِيَ النَّاسَ بِهِ إِلَيْنَا" هَذَا الْمَعْنَى لَهُ شَوَاهِدٌ كَثِيرَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَفِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

{ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ، وَقَالَ: يَمِينُ اللَّهِ مَلَأَى، وَقَالَ ابْنُ تَمِيمٍ: مَلَأْنُ، سَخَاءٌ لَا يَغِيضُهَا شَيْءٌ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ }

(أخرجه البخاري ومسلم)

الجزء من جنس العمل.

{ الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، اِرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مَن فِي السَّمَاءِ }

(أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد)

{ مَنْ ضَارَّ أَضْرَّ اللَّهُ بِهِ وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ }

(أخرجه أبو داود وابن ماجه والترمذي)

{ مَنْ تَعَسَّنَ عَن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا تَعَسَّنَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ }

عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا تزاوت عليهم السكينة، وعشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه { (صحيح مسلم)

{ يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يبعث الله عورته، ومن يبعث الله عورته يفضحه في بيته }

(أخرجه أبو داود وأحمد)

{ من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النَّار يوم القيامة }

(أخرجه الترمذي وأحمد)

هذا المعنى يُعاملنا الله تعالى به، افعَل الخير تجد الخير وافعل الشر تجد الشر.

{ ما من امرئٍ مسلمٍ يخذلُ امرأً مسلماً في موضعٍ تُنتهكُ فيه حرمة، ويُنتقصُ فيه من عِرضه إلا خذله اللهُ في موطنٍ يُحبُّ فيه نُصرته وما من امرئٍ مسلمٍ ينصُرُ مسلماً في موضعٍ يُنتقصُ فيه من عِرضه، ويُنتهكُ فيه من حُرْمته إلا نصره اللهُ في موطنٍ يُحبُّ فيه نُصرته }

(أخرجه أبو داود وأحمد)

اتجاهان خطيران اليوم في حياتنا:

أُتِها الإخوة الكرام: هناك اتجاهان خطيران اليوم في حياتنا، اتجاهاً كلاهما خطير:

الاتجاه الأول:

الاتجاه الأول الذي تحدثت عنه: شخصٌ يُصلِّي في المسجد في الصف الأول، ثم يغش الناس في البيع والشراء، شخصٌ لا يترك الصلاة والصيام ويحج كل عام مرة، ثم هو يتعامل مع الناس بأسوأ تعامل، وينقل أسوأ صورة عن الحاج والفُصلي.

امرأةٌ مُحجَّبةٌ ملتزمةٌ فيما يبدو للناس، لكنها تؤذي الناس بلسانها، وتغتاب أخواتها المؤمنات، ولا تقوم على بيتها حقَّ القيام، ولا ترعى زوجها ولا تسمع له ولا تطيعه، هذا جزءٌ من المشكلة، وهو منتشرٌ جداً، أن الدين أصبح مفصلاً عن واقع الحياة، الدين في وادٍ والواقع في وادٍ آخر، الدين في المسجد وفي حياتنا تُطبَّق أهواء نفوسنا، وفي فكرنا تُطبَّق أفكار الغرب المستوردة، هذا واقعٌ سيءٌ جداً، وهو ما بحثته في هذه الخطبة.

الاتجاه الثاني:

لكن بالوقت نفسه هناك مشكلةٌ أخرى عند صنفٍ آخر من الناس، شخصٌ لا يُصلِّي، تقول له: لماذا لا تُصلِّي يا أبا فلان؟ يقول لك: أنا المُهم أخلاقي ماذا تريد من صلاتي أنت؟! المُهم الأخلاق، أنا أتعامل مع الناس بشكلٍ جيدٍ، أنت لا علاقة لك بصلاتي.

امرأةٌ مُتبرِّجةٌ لا تلتزم الحجاب الشرعي، تقول لها أختها: يا أختي هذا لا يجوز، الله تعالى أمر بالحجاب، تقول لها: إيماني في قلبي، أنا مؤمنةٌ في القلب، انظري إلى المُحجَّبات ماذا يفعلن، تُريد أن تنال من المُحجَّبات من أجل أن تترك هي الحجاب، هذا واقعٌ سيءٌ وذاك واقعٌ سيءٌ، وكلاهما لا يُمثِّل للدين بصلة، الدين كلُّ مُتكامِل، الدين عبادةٌ شعائريةٌ وعبادةٌ تعامليةٌ، الدين صلاةٌ وصيامٌ وركاؤٌ وحجٌ هي أركانه التي لا يقوم إلا بها، والدين صدقٌ وأمانةٌ وعفافٌ وطهْرٌ وبيعٌ وشراءٌ وفق منهج الله، كلاهما معاً لا ينفصل واحدٌ عن الآخر، لذلك أقول: لا بُدَّ من التكامُل بين محراب العبادة ومحراب الحياة.

(وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ):

كانت العرب لها جملةٌ تقول فيها: "القتل أنفى للقتل" فأنت إذا قتلت المجرم فهذا يمنع القتل، لأنه بصدّ الناس عن القتل، فلما جاء القرآن الكريم وقال: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ) فليس كل قتلٍ أنفى للقتل، وإنما هو القصاص الذي تقتضيه به أثر المجرم، ونوقع به ما أوقعه في الناس، فتكون لنا حياة، وجاءت حياة نكرة، ما قال الحياة، قال: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ) تتقون الانتقام العشوائي، تتقون أن يأخذ كل امرئ حقه بيده، فيصيح المجتمع غابةً، ولا يأمن الإنسان أن يرسل ابنه إلى المدرسة إن انتشر القتل العشوائي والعياذ بالله، لذلك: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ) حياةٌ للمهج والنفوس، فإنَّ القاتل إذا رأى أنَّ القاتل يُقتل، يُحجم عن القتل فيما بعد، وَمَنْ أَمِنَ الْعُقُوبَةَ أَسَاءَ الْأَدَبِ، وما رأيناه من المخازي في السجون وفي المجازر، إنما هو ممن أمِنوا العقوبة، ففعلوا ما فعلوا، لكن لو علموا أنَّ هناك قصاصاً لما فعلوا.

في القصاص حياةٌ للمجتمع كله:

وفي القصاص حياةٌ لأسرة المقتول، فإنها عندما ترى الحقَّ قد أُجذرت تراح نفسها وتهداً، وفي القصاص حياةٌ للمجتمع بأسره، يسوده الأمن، ويتعبد عنه شيخ الانتقام، ويتعبد عنه شبح النار الذي يؤدي إلى مفاصد عظيمة، وإقامة العدل في محراب الحياة، من أهم ما يلزم الحاكم والمحكوم، الحاكم يقوم بالقصاص الشرعي، والمحكوم يُقيم العدل في بيته، ومع أهله، ومع أولاده، ومع عمّاله، وفي كل مكانٍ، فإذا انتشر العدل في المجتمع، يُصبح عصياً على أعداء الخارج.

أبها الإخوة الكرام: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزن عليكم، واعلموا أنَّ مَلَك الموت قد تخطأنا إلى غيرنا وسيخطئ غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا، الكيِّس من دان نفسه وعمل لِمَا بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى، واستغفروا الله.

الحمد لله ربّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وليُّ الصالحين، اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمدٍ وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيد.

الدعاء:

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا سميعٌ قريبٌ مجيبٌ للدعوات.

اللهم برحمتك عَمَّنَا، واكفنا اللهم شرًّا ما أَهَمَّنَا وأَعَمَّنَا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسنة توفِّقنا، نلناك وأنت راضٍ عَنَّا.

اللهم أصلح لنا أقوالنا، وأصلح لنا أعمالنا، وأصلح لنا أخلاقنا، يا أرحم الراحمين.

اللهم إنَّا نسألك الجنة وما قرَّب إليها من قولٍ وعملٍ، ونعوذ بك من النار وما قرَّب إليها من قولٍ وعملٍ.

اللهم فارح لهم كاشف الغم، مُجيب دعاء المُضطربين، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، أنت ترحمنا، ارحمنا برحمةٍ من عندك تُغنيننا بها عَن سواك.

اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم، ولا تُعذبننا فإنك علينا قادر، والطُّف بنا وبجميع المسلمين فيما جرت به التقادير، ودبِّر لنا فإننا لا نُحسين التدبير.

اللهم إنَّا نسألك لأهلنا في غزّة وفي فلسطين، نسألك لهم فرجاً عاجلاً، أن تكشف همَّهم وعَمَّهم، وأن تُطعم جائعهم، وأن تكسو عُريانهم، وأن ترحم مُصاهبهم وأن تؤوي غريبهم، وأن تجعل لنا في ذلك عملاً مُتقبلاً، وأن تغفر لنا تقصيرنا فإنك أعلم بحالنا مئاً.

وإنَّا نسألك يا أرحم الراحمين صلاةً في المسجد الأقصى قبل الممات، فاتحين مُحررين يا أرحم الراحمين.

نسألك أن تُزِدَّ كيد الصهاينة في نحورهم، كيد من والاهم في نُحورهم، وأن تجعل تدميرهم في تدبيرهم، وأن تجعل دائرة السوء تدور عليهم.

نسألك لبلادنا أمناً وأماناً ورخاءً في طاعةٍ يا أرحم الراحمين، وأن يبقى مُستظلاً بكتابك وبسنة نبيك صلى الله عليه وسلم، ونسألك للقايمين عليه تثنياً وتأييداً في طاعتك يا أرحم الراحمين، وصلِّ وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين.